

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الرابعة

عبد الله بن مسعود

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، نستلهم فيها الدروس والعبر من تلك المواقف الإيمانية ، والصفات الحميدة ، لشباب صدر الإسلام.

علمنا فيما سبق شيئاً من حياة أحد شباب صدر الإسلام ، ذلكم هو الفتى عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) وما كان عليه من شدة التزامه بهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . ومع ذلك فقد تشرف ابن مسعود (رضي الله عنه) في زهرة شبابه بخدمة سيد الأولين والآخرين نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد كانت له مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعمال مخصصة عرف بها ، فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال كان عبد الله بن مسعود صاحب سواد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني سره ووساده يعني فراشه وسواكه ونعليه وطهوره وهذا يكون في السفر . وعن أبي المليح قال كان عبد الله يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل ويوقظه إذا نام ويمشي معه في الأرض وحشا . [الطبقات الكبرى] .

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال كان عبد الله يلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا . فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . [الطبقات الكبرى] .

و عن إبراهيم بن يزيد عن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إذنك علي أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادي حتى أنهاك.

وعن أبي موسى قال قدمت أنا وأخي من اليمن وما نرى بن مسعود إلا أنه رجل من  
أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلى الله  
عليه وسلم . [الطبقات الكبرى] .

أيها المستمعون الكرام لقد أدرك عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) بعلمه وعمله  
الفضل العظيم ، وعرف له الناس ذلك وأثنوا عليه خيراً ، فعن زيد بن وهب قال أقبل عبد  
الله ذات يوم وعمر جالس فلما رآه مقبلاً قال كنيف ملئ فقها .

ولما كتب بعثه عمر إلى الكوفة كتب إليهم إني والله الذي لا إله إلا هو آثرتكم به على  
نفسي فخذوا منه .

وعن حبة بن جوين قال كنا عند علي فذكرنا بعض قول عبد الله وأثنى القوم عليه  
فقالوا يا أمير المؤمنين ما رأينا رجلاً كان أحسن خلقاً ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسة ولا  
أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود فقال علي نشدتكم الله إنه لصدق من قلوبكم قالوا نعم  
فقال اللهم إني أشهدك اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل . [الطبقات الكبرى  
١٥٠/٣] .

وقال أبو الدرداء لما جاءه نعي ابن مسعود قال : ما ترك بعده مثله .

وقال أبو موسى الأشعري لا تسألوني ما دام هذا الخبر فيكم يعني ابن مسعود .

وعن أبي الأحوص قال كان نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو قال  
عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في دار أبي موسى يعرضون مصحفاً قال  
فقام عبد الله فخرج فقال أبو مسعود هذا أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد صلى الله  
عليه وسلم وفي موضع آخر قال فقال أبو موسى إن يكن كذلك فقد كان يؤذن له إذا  
حجبتنا ويشهد إذا غبتنا . [الطبقات الكبرى] .

معشر الشباب لم يبلغ عبد الله بن مسعود هذه المكانة بنظارة جسمه ، ولا بروز عضلاته ، بل كان على العكس من ذلك . فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال كان عبد الله رجلا نحيفا قصيرا أشد الأدمة .

وَعَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّ تَضَحَكُونَ قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ . [أخرجه الإمام أحمد] . إنما بلغ ابن مسعود ما بلغ بالعلم والعمل .

ولمعرفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لبن مسعود هذا الفضل والمكانة فقد سيره إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم وبعث عمارا أميرا وقال إنهما من النجباء من أصحاب محمد فاقتدوا بهما ثم أمره عثمان على الكوفة ثم عزله فأمره بالرجوع إلى المدينة.

ومما يذكر من حياة ابن مسعود (رضي الله عنه) قوله : «ما نمت الضحى منذ أسلمت» . ولعل هذا القول يكون فيه تنبيه للشباب الذي يكثرون النوم في الضحى فتضيع بذلك أوقاتهم، فضلا عما يسببه لهم نومهم هذا من الكسل في النهار ، ومنع النوم في الليل.

وكان من تقوى ابن مسعود (رضي الله عنه) شدة تحريه في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خشية أن ينسب إليه ما لم يقله ، وفي هذا يقول عمرو بن ميمون اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال إن شاء الله إما فوق ذاك وإما قريب من ذاك وإما دون ذاك.

وعن عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود كان يقوم قائما كل عشية خميس فما سمعته في عشية منها يقول قال رسول الله غير مرة واحدة قال فنظرت إليه وهو معتمد على عصا فنظرت إلى العصا تززع .

معشر الشباب، لعل من المناسب أن نختم هذه الحلقة من حياة ابن مسعود (رضي الله عنه) بوصيته له يقول : «عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق» .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.